فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الرابعة، العدد الأول (المتوالي ٧)
خريف و شتاء ١٣٩٩ش/ ١٤٤٢ق. من صفحة ٧١ الى ٨٣

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 4, No. 1, (Issue 7) Autumn & Winter 2020-2021; pp. 71-83

مقالهٔ پژوهشی **Original Research**

دراسة علاقات التناص بين القرآن و الخطبة ١٠٩ من نهج البلاغة في الأسماء والصفات الإلهية

مرضيه فياض[١]، مهدي مطيع[٢]، محمدرضا حاجي اسماعيلي[٣]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٢/٢١ **تأريخ القبول: ١٤٤٢/١١/١٣**

١. طالبة دكتوراه في علوم القرآن والحدى في جامعة آزاد الإسلامية، فرع إصفهان (خوراسغان)، إصفهان، إيران؛ Amzir4818@gmail.com
٢. أستاذ مشارك كلية الآداب، في جامعة إصفهان، إصفهان، إيران (الكاتبة المسؤول)؛ mahdimotia@gmail.com
٣. أستاذ كلية الآداب، في جامعة إصفهان، إصفهان، إيران؛ m.hajis1@yahoo.com

The Intertextuality of Ouran And Nahi-Ul-Balaghah in The Field Of Divine Names And Attributes In Sermon 109

Marzie Fayaz[1], Mahdi Moti[2],Mohammadreza Haji Esmaeeli[3]

Received: 2020/10/09 **Accepted: 2021/06/24**

1. Ph.D. student, Quranic sciences and Hadith, Department of Humanities and law, Isfahan (Khorasgan)Branch, Islamic Azad university, Isfahan, Iran; Amir4818@gmail.com
2. Associate Professor, Department of the Quranic sciences and Hadith, Isfahan University, Iran (Corresponding Author); mahdimotia@gmail.com
3. Full Professor, Department of the Quranic sciences and Hadith, Isfahan University, Iran; m.hajis1@yahoo.com

10.30473/ANB.2021.55572.1232

الملخص

تعتبر نمذجة نص عن آخر أحد الأساليب المهمة في البحث الأدبي. فيسمى هذا النوع من البحث اليوم بالتناص. وتُظهر هذه العلاقة أن بعض النصوص تستفيد من نصوص أخرى بالوعي أو باللاوعي، وتهدف إلى التأكيد على أن كل نص ومتحدث يتأثر بنصوص ومتحدثين آخرين، سابقين كانوا أو لاحقين، ويستفيد في الوعي أو في اللاوعي من كلماتهم و أفكارهم. فتتناول هذه المقالة علاقة التناص بين القرآن و نهج البلاغة. القرآن نص مخفي أو غائب و نهج البلاغة هو النص الحاضر. يهدف المؤلف إلى توضيح عمق الصلة بين هذين النصين، و اكتشاف تجلي نورانية كلام الوحي في كلام الإمام علي (ع). يدرس هذا البحث علاقة التناص بين القرآن و الخطبة ١٠٩ من نهج البلاغة في مجال الأسماء و الصفات الإلهية بالمنهج الوصفي التحليلي و المقارن. ثم يحدد مختلف أنواع التناص بما فيها النفي الجزئي (الاجترار الناقص و الكامل)، النفي المتوازي (الامتصاص) والنفي الكلي (الحوار). تظهر نتائج هذه الدراسة أن أكثر حالات الإمام عليه السلام بالقرآن تنتمي إلى علاقة فئة التناص من نوع النفي المتوازي بحوالي ٥٣٪ من الحالات و النفي الكلي و الاجترار الناقص بحوالي ٢٤٪ من الحالات، بينما لم يتم استخدام الاجترار الكامل.

الكلمات الدليلية: القرآن، نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩، الأسماء و الصفات الإلهية، التناص.

Abstract

One of the important approaches in literary research is the patterning of one text from another. Nowadays, this type of research is called intertextuality or relationship. This relationship shows that some self-conscious or unconscious texts have used other texts and intends to state that every text and speaker is influenced by other texts and speakers, formerly or simultaneously, and consciously or unconsciously from their words and thoughts have benefited. The present article deals with the intertextual relationship between the two texts of the Qur'an and Nahj-ul-Balaghah. The Qur'an is a hidden or absent text and Nahj-ul-Balaghah is the present text. The author intends to clarify the depth and depth of the connection between these two texts and to reveal the manifestation of the luminosity of the word of revelation in the words of Imam Ali (AS). This research will examine the relationship between the intertextuality of the Qur'an and Sermon 109 of Nahj-ul-Balaghah in the field of divine names and attributes in a descriptive, analytical, and comparative manner, and then determines the different types of intertextuality, including abrogation, retribution, and apostleship. The results of this study show that the most influential words of that Imam from the Qur'an belong to the intertextual relationship of incomplete repercussions and parallel negation, almost to the same extent, and the use of general negation with a minimum number and complete repudiation has not been used.

Keywords: Quran, Nahj-ul-Balaghah, Sermon 109, Divine Names and Attributes, Intertextuality.

المقدمة

يعد التناص إحدى طرق دراسة النصوص. التناص هو فرع من فروع علم السيميائية يدرس كيفية تكوين المعنى والدلالات في النص. أجريت العديد من الدراسات على التناص أهمها نظرية ميخائيل باختين الحوارية (منطق المحادثة). يعتبر بارت و جوليا كريستوفا مؤسسا التناص، على الرغم من أن كريستوفا هي التي وضعتها. اقترحت جوليا كريستوفا، الناقدة الفرنسية البلغارية، هذه النظرية في عام ١٩٦٢م، مستوحية إياها من أعمال ميخائيل باختين، و وصفت التناص بأنه "لا يوجد نص منفصل عن النصوص الأخرى". بالطبع، هذا لا يعني أن كريستوفا قد قدمت مثل هذا المفهوم لأول مرة. تمت صياغة مصطلحات علاقات التناص لأول مرة من قبل الشكليين الروس، و خاصة فيكتور أشكيلوفسكي، في مقالته (الفن بصفته تمهيداً) و تأثر بخطاب باختين. يمكن اعتبار باختين أول من اقترح فرضية تناصية و مهد الطريق لأمثال كريستوفا و بارت و آخرين. لعب رولان بارت أيضاً دوراً رئيسياً في نشر و تشكيل فرع يسمى تناص القراءة. (نامور مطلق، ٢٠١١: ١٠-٢٠).

التناص في أبسط تعريف له هو العلاقة بين كلمتين و بمعني أعمق هو العلاقة بين نصين أو أكثر مع بعضهما البعض. وفقاً لنظرية التناص، يحتوي أي نص على تناص؛ أي أنه مكون من تشابك النصوص المختلفة، و التّي يمكن أن تكون القرآن، و الأسطورة، و النصوص الأدبية، و التاريخية، و ما إلى ذلك (نامور مطلق، ٢٠١١: ٣٣).

يستند التناص إلى فكرة أن النص ليس نظاماً مغلقاً أو مستقلاً أو مكتفياً ذاتياً، ولكنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنصوص الأخرى. مثل العديد من المصطلحات التي استخدمت في النقد الأدبي في العقود الأخيرة، لا يمكن تقديم تعريف واحد و موحد لها (مكاريك، ٢٠٠٦: ٧٢).

ينقسم الباحثون في مجال التناص إلى مجموعتين؛ مجموعة يعتقد أنصارها أن التناص ليس نظرية جديدة على الإطلاق، ويمكن استنتاج نسخته الأصلية من وجهات نظر عبد القاهر الجرجاني وابن خلدون. بينما تعتقد المجموعة الثانية أن قضايا مثل السرقة الأدبية و التلميح والتضمين و الاقتباس لا علاقة لها بالتناص، فلا ينبغي مقارنتها بها. وتجدر الإشارة إلى أن التناص ليس قضية واحدة بل هو نهج تعددي له اتجاهات مختلفة، و وفقاً لجوليا كريستوفا ورولان بارت إلى لوران جيني، و مايكل ريفاتر، وجيرارد جينيه، و ما إلى ذلك، له أقسام مختلفة مثل التناص النظري والتطبيقي، الإنتاج و الاستقبال، الضعيف و القوي، الاحتمال الحتمي، وما إلى ذلك. و بعبارة أخرى، يجب ألا نتحدث اليوم عن التناص ولكن عن حالات التناص (نامور مطلق، ٢٠١١: ٤٣٠-٤٣٥).

اقترح العلماء العرب مصطلحات عديدة و مترادفة لهذا المفهوم، بما في ذلك: التناصية، النصوصية، تداخل النصوص، النصوص المتداخلة، و النص الغائب و في مقابله النص الراهن و النص الحاضر و غيرها (كيوان، ١٩٩٨ :٣٥).

الدراسات السابقة:

بإلقاء نظرة مختصرة على الدراسات و الأبحاث المختلفة التي تم إجراؤها حول التناص القرآني في نهج البلاغة، نشير إلى عدد من المقالات الأكثر ارتباطًا بالدراسة الحالية:

- أميد جمال فرد؛ مجيد صدقي ٢٠٢٠م، مقال علاقة التناص بين القرآن الكريم والرسالة ٦٩ من نهج البلاغة. تناول الباحثون العلاقة النصية بين الرسالة المذكورة و القرآن الكريم في التناص بأقسامه الثلاثة: الكامل النصي و الكامل التعديلي والدلالي، و توصلوا إلى أن كلام علي (ع) مقتبس من آيات القرآن الكريم، و هذا تناص نصي كامل و تعديلي كامل و دلالي.
- سمانه ناصري؛ ماجد نجاريان ٢٠١٤م. في مقال بعنوان التناص القرآني في استعارات كلمات نهج البلاغة القصار، تمت دراسة علاقات التناص بين القرآن و كلمات نهج البلاغة القصار و استنتج الباحثون أن معظم مضامين نهج البلاغة مشتقة من المفاهيم القرآنية، و يستخدم فن الاستعارة على نطاق واسع للتناص القرآني، حيث تبلور كل منها بشكل جميل في كلام الإمام علي (ع).

- أنسيه خزعلي. مريم ميرزاخاني ٢٠١٤م. في مقال بعنوان التناص القرآني في الخطبة الأولى لنهج البلاغة، توصلت الباحثتان إلى نتيجة مماثلة لمقال الدكتور مسبوق و اختارتا هذه الخطبة لاحتوائها على قضايا معرفية و توحيدية.
- فاطمة بودينه ٢٠١٤م. في مقال بعنوان تناص تأثير القرآن على نهج البلاغة، بعد دراسة عدد من خطب نهج البلاغة و الإشارة إلى علاقتها بالقرآن، توصلت الباحثة إلى استنتاج مفاده أن نهج البلاغة هو كتاب العصور و لا يقتصر على عهد الإمام علي (ع) فقط، حيث قدم عليه السلام حلول جميع المشاكل في القرآن.
- سيد مهدى مسبوق؛ ٢٠١٣م. في مقال بعنوان علاقات التناص بين القرآن وخطب نهج البلاغة، تناول المؤلف علاقات التناص بين القرآن وخطب نهج البلاغة و خلص إلى أن معظم تلك العلاقات بين نصي القرآن و نهج البلاغة واعية و متوازية.

علاقات التناص:

قامت جوليا كريستوفا بأهم تقسيم لهذه النظرية، فقد قامت بتقسيم التناص إلى ثلاث فئات رئيسية: النفي الكلي والنفي الموازي والنفي الجزئي. (مسبوق، ٢٠١٣: ٢٠٩-٢٠٨)، و فيما يلي كل منها:

أ) النفي الكلي: يتمتع هذا النوع من العلاقات بأعلى درجة من التناص، حيث يقوم المؤلف فيه بقراءة النص الغائب بشكل واع و عميق و بإتقان كبير، و يأتي بجزء منه في نصه و يعيد بناءه بحيث تكون إعادة البناء هذه مخالفة لمعنى النص الغائب، و في معظم الحالات يكون معنى النص الغائب مختلفاً عن معنى النص الحاضر. في النفي الكلي، يتم استخدام قدر كبير من النص الغائب في النص الحاضر؛ و لذلك فهو يحمل أعلى شكل من أشكال التفاعل مع النص الغائب.

ب) النفي المتوازي: في هذا النوع من علاقات التناص، يتم قبول النص الغائب واستعماله في النص الحاضر بحيث لا يتغير جوهره. في الواقع، يقوم المؤلف بإنشاء نوع من التوفيق و التلاؤم بين النص الغائب و النص الحاضر. لذلك، لا يتغير معنى النص الغائب في النص الحاضر بشكل جوهري في هذا النوع من علاقات التناص. ولكن هذا لا يعني أن معنى النص الحاضر لا يختلف عن معنى النص الغائب، بل يمكن أن يترافق ذلك بنوع من التغيير و التنوع في الألفاظ و التطبيقات (ميرزايي و واحدي، ٢٠٠٩: ٣٠٦).

ج) النفي الجزئي: في هذا النوع من علاقات التناص، يستعمل المؤلف جزءًا من النص الغائب في نصه. لذلك فإن النص المأخوذ من النص الغائب يمكن أن يكون جملة أو عبارة أو كلمة أو ما شابه ذلك (ميرزايي و واحدي، ٢٠٠٩، ص٣٠٦). و بالتالي، من الواضح أن هذا النوع من علاقات التناص يستعمل بأكثر سطحية من النوعين السابقين. في مثل هذا التفاعل، تتوافق معاني الألفاظ مع النص الغائب (ستوده نيا، محققيان، ٢٠١٦: ٤).

و لظاهرة التناص ثلاثة أركان هي: ١- النص الغائب، ٢- النص الحاضر، ٣- عمليات التناص

و تسمى عمليات التناص أو العلميات التناصية كذلك بهجرة الألفاظ أو المعاني من النص الغائب إلى النص الحاضر، و يعد شرح هذه الهجرة و بيانها أهم جزء من أجزاء نظرية التناص في تفسير النصوص.

أسماء الصفات الإلهية:

أشار القرآن الكريم إلى تخصيص الأسماء الحسنى لله تعالى في ٤ حالات وهي:

- (الأعراف/١٨٠): ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
- (الإسراء/١١٠): ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾
- (الحشر/٢٤): ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
- (طه/٨): ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

في اللغة العربية «أسماء» جمع «اسم» من جذر «س م و» أي ارتفع. (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٤، ص٣٩٧). و يعود سبب إطلاق كلمة «اسم» إما لأن مفهوم ومعنى كل اسم بعد التسمية يصل من مرحلة الخفاء والغياب إلى مرحلة البروز و الظهور و يظهر على الجميع كما لو كان على مرتفع. (مكارم شيرازي،١٩٩٢: ٢٠/١) أو لأن لكل كائن ومفهوم شكل و رمز يُعرف بهما بواسطة الاسم الذي يمنح له من رتبة أعلى؛ أو لأن معنى كل كائن وظاهرة يقع تحت اسمه السامي و هذا الاسم يستخدم كعلامة و تذكير للإشارة إلى هذا المعنى. (ابن منظور، ١٤١٤ : ١٤/ ٤٠٢-٤٠١) على أي حال، بالاسم يعرف المسمى (أي المفهوم الذي يوضع عليه "الاسم") و يصبح معروفًا (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢: ٤٢٨).

أما كلمة صفات فهي جمع «صفة». و«الصفة» هي حالة توجد في الشيء.(الراغب الأصفهاني، ١٤١٢: ٨٧٣). و يقول الراغب الأصفهاني أن كلمة «وصف» حذف حرف «الواو» من أولها و أضيفت «ة» بدلًا من الواو المحذوفة إلى آخرها.

معنى الأسماء اصطلاحاً

ولـ "الأسماء" تفسيرات مختلفة في اصطلاح علم الكلام. على سبيل المثال، الاسم هو كلمة تشير إلى الذات المجردة، مثل "الله"، أو يشير إلى الذات التي تتصف بصفة معينة، مثل "عالم" و "قادر"؛ أو يشير إلى الذات التي [بالإضافة إلى اتصافها بذلك المبدأ] هي أيضًا مبدأ الفعل نفسه، مثل "الرازق" و "الخالق" (سبحاني التبريزي، ١٤٢١: ٦ / ٣٣). لذا فإن الأسماء ليست كلها متشابهة و هناك اختلافات دلالية بينها. هناك، لكن القاسم المشترك بينها جميعًا هو أنها تشير إلى ذات المسمى (الذات نفسها التي تم اختيار الاسم من أجلها و تعرف بذلك الاسم)، سواء كانت تشير إلى مجرد الذات (مثل الله) أو إلى الذات التي تتصف بالصفة (مثل العالم و القادر).

في حالة أسماء الله التي تشير إلى ذات الله التي تتصف بصفة معينة، فإن اتحاد تلك الأسماء بالذات نفسها هو شيء واضح، لأننا عندما نستخدم أحد الأسماء الإلهية – على سبيل المثال، "القادر" – فإننا نشير إلى ذات الله التي تتصف بتلك الصفة – "القدرة". أي عندما نحلل معنى اسم "القادر" نلاحظ أنه لا يوجد شيء آخر غير هذا: الذات التي تتصف بصفة القدرة. من الواضح أن هذا المعنى ليس سوى ذات الله.

و تتحد ذات الله بالأسماء، بمعنى أن جميع الأسماء الإلهية تدل على مسمى واحد لا أكثر، أي أنها لا تشير إلى أكثر من مسمى. لم يكن الوثنيون قادرين فهم هذا الأمر و اعتبروا عن طريق الخطأ أن كل اسم من أسماء الله له مسمى منفصل. كانوا مخطئين في الاعتقاد بأننا إذا عبدنا الله، فإننا في الواقع نعبد "الخالق" و "الرزاق" و "المحيي" و "المميت" و ما شابه ذلك، وجميع هذه الأسماء هي أسماء موجودة فقط في كائنات مثل الملائكة والجن و لا تدل على ذات الله، لأن ذات الله تعالى أجلّ و أعلى من أن يتمكن العقل و الوهم و الشعور الآدمي من إدراكها. على أي حال، يتضح لنا بطلان هذه النظرية من خلال نقطة بسيطة ولكنها دقيقة، و هي أنه ليس من المعقول أن يكون الاسم منفصلاً عن المسمى، لأن الاسم ليس مستقلاً عن نفسه بل يقوم على أساس الذات، بينما يتصف بصفة من الصفات (طباطبائي، ١٩٩٥: ١٣/ ٣١١).

معنى الصفات اصطلاحاً

في اصطلاح علم الكلام، الصفة هي مفهوم يشير إلى الأصل و المبدأ دون أن تكون علامة على الذات، مثل: العلم و القدرة و الرزق و الخلق (سبحاني التبريزي، ١٤٢١: ٦ /٣٣). في الكتب ذات الصلة بعلم الكلام، تمت الإشارة إلى تصنيفات عدة مثل صفات الجمال (الثبوتية) والجلال (السلبية) أو صفات الذات و صفات الفعل أو الصفات النفسية و الإضافية أو الصفات الخبرية (التشبيهية) و التنزيهية.

عند مناقشة الصفات الإلهية، يقول المتكلمون إن هذه الصفات هي ذات الله عينها و لا تتعدى الذات الإلهية. بمعنى آخر، نحن البشر نمتلك صفات تطورت فينا تدريجيًا، لذلك نقول إنها أشياء زائدة على ذاتنا. لكن لا

يمكننا تصور أي من هذه المعاني في الله، فكل ذات علم و كل ذات قدرة و كل شيء فيه واحد (مكارم شيرازي، ٢٠٠٧ :٥٠).

و يتمثل الفرق بين الأسماء والصفات في أن الصفة تدل على المعنى الموجود في الذات، سواء كانت هي الذات نفسها أم غيرها؛ لكن الاسم يدل على الذات مع الصفة و من حيث الوصف. لذلك، "الحياة" و "العلم" صفتان، لكن "حي" و "عالم" اسمان (طباطبائي، ١٩٩٥م، ج٨، ص ٤٥٨). لهذا السبب يمكننا اعتبار الاسم محمولاً على الذات و القول: إن الله هو "العالم" أو "الخالق" أو "الرحمان" أو "الرحيم"، ولكن الصفة لا يمكن أن تكون محمولة فلا يمكننا القول: الله هو الخلق (سبحاني تبريزي، ١٤٢١: ٣٣/٦) لذلك، فإن الاختلاف بين الأسماء و الصفات هو اختلاف اعتباري، و الصفات كالأسماء مظاهر من الوجود المطلق و ذات الله اللامتناهية.

علاقات التناص بين القرآن ونهج البلاغة:

يعد كتاب نهج البلاغة الثمين من أكثر المصادر الدينية قيمة و شمولية في الإسلام، فقد أذهل كلامه الأدباء و العلماء. يسمى هذا الكتاب في الثقافة الشيعية "أخ القرآن"، لأن الشيعة يبحثون عن تفسير كلام الوحي في أقوال وأفعال أهل بيت العصمة و الطهارة عليهم السلام.

مما لا شك فيه أن الإمام علي (ع) قد تأثر بنص القرآن في كلامه بسبب إلمامه بالقرآن، حيث يعد تكرار تفاعل الإمام على (ع) مع القرآن واحداً من من السمات البارزة لنهج البلاغة، و هو من أهم مجالات التناص.

إن معرفة هذا الأمر عميقة جداً بسبب الارتباط الذي لا ينفصم بين مفاهيم نهج البلاغة و القرآن، وعلاقة التناص بين هذا الكتاب و القرآن ضرورية لفهمه. بالنظر إلى نهج البلاغة بصفته عملًا ثمينًا و جميلًا، نجد أن الاقتباس من القرآن في هذا الكتاب قد تم بطرق مختلفة، و قد تم التعبير عنها و بلورتها بأشكال مختلفة من التناص.

و تجدر الإشارة إلى أنه في شرح علاقات التناص بين القرآن والخطبة ١٠٩ نهج البلاغة، فإن هذه الخطبة هي النص الحاضر و القرآن هو النص الغائب، وعلاقات التناص توضح التفاعل بين هذين النصين.

تهدف هذه الدراسة إلى شرح مكانة القرآن في تكوين الخطبة ١٠٩ نهج البلاغة و الموقع المعرفي للأسماء و الصفات الإلهية فيها، وفق نظرية جوليا كريستوفا. لهذا الغرض، سنقوم بدراسة الأساليب الثلاثة و هي: النفي الجزئي (الاجترار)، و النفي الموازي (الامتصاص) و النفي الكلي (الحوار)، لنكشف عن العلاقات الكامنة و الظاهرة بين كلام الإمام علي (ع) و القرآن الكريم.

تناص القرآن والخطبة ١٠٩ من نهج البلاغة في مجال الأسماء والصفات الإلهية

النص الحاضر: «كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر/٢١).

عمليات التناص

الخطبة ١٠٩ هي واحدة من أكثر خطب نهج البلاغة فصاحة وثراء في المحتوى و قيمة، ومن هنا سميت باسم الزهراء. (دشتي، ١٩٨٩، ص ١٢٠) و يرى ابن أبي الحديد أن تأثير هذه الخطبة و جاذبيتها يتمثل في أنه إذا قيلت امام كافر ينكر القيامة بكل قوته، فإن مقاومته ستنكسر، و يغرق قلبه في الرعب، و تهتز أسسه الفكرية، وتجبره على إعادة النظر. (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤ : ٢٠٢) في بداية الخطبة اعتبر الإمام علي (ع) أن كل شيء في هذا العالم خاشع أمام الله.

يشير الإمام علي (ع) في هذا الجزء من الخطبة في بيان عام إلى خشوع جميع المخلوقات أمام ذات الباري تعالى، ولكن في الآيات قيد المناقشة توجد إشارة جزئية إلى خشوع الجبل و الإبصار و الوجوه و الإنسان، حيث تم إنشاء تناص من نوع النفي المتوازي. أشار عليه السلام في الخطبة إلى الخشوع الذاتي لجميع كائنات الكون أمام ذات الباري تعالى، فهو لا يشير فقط إلى "خشوع" جميع الكائنات، و الذي يعني من حيث المبدأ الخضوع، ولكنه أيضاً يأخذ في الاعتبار المعنى الأوسع له، و هو الخضوع الظاهري و الباطني و التشريعي و التكويني. لذلك فإن

خشوع كل شيء أمامه يعني الخضوع لله و سيادة قوانين الخلق على الكائنات.

النص الحاضر: «وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الرعد/٣٣).

عمليات التناص

يقوم كل شيء بالله لأنه واجب الوجود وكل ما عداه ممكن الوجود، و ممكن الوجود يعتمد على واجب الوجود مثل أشعة الشمس التي ترتبط بالشمس (بحراني، ١٩٩١: ٣/ ٩٢). لذلك يلجأ عليه السلام إلى التناص من نوع الاجترار الناقص باستخدام كلمة "قائم" بالاعتماد على الآية ٣٣ من سورة الرعد الكريمة، مما يجعل الذهن بفكر بأن جميع الممكنات و المخلوقات لا تمتلك أي شيء من ذاتها و كل ما تملك هو من الله و كل كمال تناله هو شعاع من الكمال الإلهي المطلق.

النص الحاضر: «غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩).

النص الغائب: ﴿وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم/ ٤٨).

عمليات التناص

و هنا أيضاً يستعمل الإمام (ع) التناص من نوع النفي المتوازي المأخوذ من آيات القرآن الكريم، و خاصة الآية ٤٨ من سورة النجم، مبينًا أن الله لم يقم بدعوة الناس إلى التوحيد و الإخلاص في الدين لأنه يحتاج إلى أن يقبل المشركون على عبادته و ينصرفون عن عبادة غيره، بل لأنه تعالى يهتم بسعادتهم و يدعوهم إليها، كما يهتم بقوتهم و رزقهم و يمنحهم نعماً و بركات لا تعد و لا تحصى، كذلك فهو يهتم بحفظهم و حمايتهم. و لهذا السبب ألهمهم صد الآفات و درئها عن أنفسهم. لذلك يشير الإمام عليه السلام في مكان آخر إلى أن الله تعالى أغنى كل إنسان برزقه، و أرضاه بسعيه وجهده. (المجلسي، ١٤٠٣: ١٠٠ /٦)

النص الحاضر: «وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(آل عمران/ ٢٦).

عمليات التناص

و غني عن القول أن الإمام علي (ع) قد استخدم عبارة "وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ" في التناص من نوع النفي المتوازي ليجعل معنى و مفهوم الآية الكريمة ٢٦ من سورة آل عمران تتبادر غلى الذهن، ليدحض ادعاء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، مبينًا في هذا الصدد أن المقصود بإرادة الله و مشيئته في هذه الآية الكريمة ليس أن الله تعالى يؤتي الملك لمن يشاء بغير سبب أو ينزعه منه دون سبب، بل إن مشيئته تقوم على الحكمة و مراعاة النظم و المصلحة و الحكمة في عالم الخلق و الإنسانية، و أحيانًا ما تكون هذه الحكومات بسبب الكفاءات، و أحيانًا أخرى تسود حكومة الظالمين بسبب انعدام الكفاءات بين الشعوب (مكارم شيرازي، ١٩٧٤م، ج٢، ص ٤٩٠).

النص الحاضر: «وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات/ ٥٨).

عمليات التناص

في هذا السياق، يذكرنا الإمام علي (ع) باستخدامه للتناص من نوع النفي المتوازي في الفهم العميق للآية ٥٨ من سورة الذاريات بأن الله وحده هو الذي يمنح الرزق للجميع و هو القوي و هو قوة كل عاجز. إن إطلاق كلمة قوة لله مثل إطلاق كلمة الغنى، حيث نعلم أن وجوده كامل في كل شيء ولانهائي في اللانهاية وغني بالذات. (مكارم شيرازي، ١٩٧٤: ٢/ ٣٨٥).

النص الحاضر: «وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ» (نهج البلاغة،

الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ (الإسراء/ ٦٧).

عمليات التناص

يبين عليه السلام في هذا التناص من نوع النفي الكلي اللحظات الدنيوية المخيفة والمصائب التي تقترن بها ﴿ وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾، مشيراً إلى أن الله تعالى هو وحده ملجأ كل ملهوف ولا يمكن لغيره أن يكون كذلك. كما يرفض عليه السلام المعتقدات الباطلة للمشركين الذين توسلوا إلى الأصنام وأولئك الذين قالوا: ﴿هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس/ ١٨) مبيناً أن الله وحده هو الملجأ الحقيقي لكل ملهوف و مكروب، ولكن ليس في الآخرة؛ لأن المشركين لم يؤمنوا بالقيامة و المعاد، بل أرادوا منهم أن تشفع الأصنام لهم في الدنيا. كان لا بد من نفي شفاعة الأصنام في هذه الآية، ولكن يبدو أن الأصنام لا تستحق ذكر إنكار شفاعتها، لذلك قال فيما يتعلق بالمشركين: لن تكونوا من الشفعاء، لذلك لن تشفع لكم أصنامكم. (قرشي، ١٩٩٢: ٨ / ٤٣٥).

النص الحاضر: «مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة/ ٧٧).

عمليات التناص

في هذا الجزء من الخطبة، يذكر عليه السلام معرفة الله بأسرار البشر في سماع أقوالهم و إدراكه لما ينوون و يستحقون، فيقول إن من يتكلم يسمع، و من يسكت يعرف الله الأسرار الموجودة في باطنه، وعبر عن هذا المفهوم بجملة "علم السر" التي يكون فيها "علم" فعلاً بصيغة الماضي و"السر" اسم ظاهر، ولكن في الآيات قيد الدراسة، لم يتم استخدام نفس الجملة، و بدلًا من ذلك تم استخدام الأفعال المضارعة "يعلم و يسرون و يعلنون"، و بالتالي فإن التناص المستخدم أعلاه هو من نوع النفي المتوازي.

النص الحاضر: «وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود/ ٦).

عمليات التناصتي

يقوم عليه السلام بتغيير مختصر في آية التناص من نوع الاجترار الناقص، حيث يقوم بتغيير "على الله" إلى "عليه" و "رزقها" إلى "رزقه"، مذكراً بأن الله تعالى هو الرزاق الحقيقي والوجهة النهائية لجميع المخلوقات.

جدير بالذكر أن «رزق» هو النعم المستمرة، مادية كانت أم معنوية، لذلك جاء في الدعاء: «اللّهم ارزقني... قلباً خاشعاً... و لساناً ذاكراً... وعلماً نافعاً» (المجلسي، ١٤٠٣ : ٩٥ /٢٥٨)

النص الحاضر: «لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/ ١٠٣).

عمليات التناص

يستخدم عليه السلام في هذه الخطبة تناصاً من نوع النفي الكلي «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» ويشير إلى أن المقصود بالأبصار ليس العيون والقدرة على الرؤية بها بل بصيرة القلب، أي أنه أعلى وأسمى من أن يدركه الخيال أو الظن أو القياس أو الوهم. فلا يمكن لأحد أن يدركه بالوهم أو أن يدرك كيفية وجود. (الطبرسي، ٨ / ٢١٣).

النص الحاضر: «وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩).

النص الغائب: ﴿وَ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود/ ١٠٢).

عمليات التناص

في هذا الجزء أيضًا، يستخدم عليه السلام التناص من

نوع النفي المتوازي مع الآية ۱۰۲ من سورة هود، يشير الإمام علي (ع) إلى أن الغضب والعذاب الإلهي يصلان إلى الشعب الظالم بينما يكون من المؤلم والصعب التخلص منه و من المستحيل الهروب من سيطرته. لذلك فهو يعبر عن هذا المفهوم بجملة "وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ"، أي و لا يفلت منك بعد أخذه، أي لا يمكن لمن تأخذه أن يفلت منك. في الآية المذكورة، هناك إشارة إلى عقاب الله المؤلم والشديد، والذي سيشمل الظالمين، ويجب أة يأخذ الجميع العبرة. (طباطبائي، ۲۰۰۷: ۱۱ / ٦)

النص الحاضر: «وَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ وَ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ» (نهج البلاغة، الخطبة ۱۰۹)

النص الغائب: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الزمر/ ۷).

عمليات التناص

في هذا القسم، نلاحظ التناص من نوع النفي المتوازي بين كلامه عليه السلام و آيات القرآن وخاصة الآية ۷ من سورة الزمر، حيث يذكرنا الإمام عليه السلام أن الإنسان لا يضر بالكمال المطلق من خلال الخطيئة التي يرتكبها و أن خطيئة المذنبين لا تقلل من عظمة الخالق و طاعة العباد لا تزيد من قوته.

كما تشير الآية المذكورة إلى أن الدعوة إلى التوحيد والإخلاص ليست بسبب حاجة الله تعالى، بل لأن الله عز وجل يهتم بسعادة الإنسان و لا ضرر عليه من كفر و عصيان العباد لأنه غني بالذات و لا منفعة تعود عليه من هذا الأمر و لا ضرر. (طباطبائي، ۲۰۰۷: ۱۷/ ۳٦٤).

النص الحاضر: «وَ لَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ وَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ» (نهج‌البلاغة، الخطبة ۱۰۹)

النص الغائب: ﴿وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (انعام/ ۱۷) و ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة/ ۱۳۷).

عمليات التناص

استخدم الإمام علي (ع) التناص من نوع النفي المتوازي مستعينًا بمعنى الآيتين ۱۷ من سورة الأنعام و ۱۳۷ من سورة البقرة، مشيرًا إلى آثار معارضة و غضب المخلوق الذي هو في حد ذاته أثر من آثار الخلق و القضاء الإلهي، تجاه المشيئة الإلهية، فهل يمكن للخط أن يتمرد على القلم الذي يرسمه حسب إرادته؟ لذلك، فإن المعركة مع القضاء الإلهي للإنسان قادته إلى قاع بئر الدمار، و الخضوع و الرضا و الإحسان الصادق هي الأعمال التي يمكن أن تنقذ الإنسان في اللحظات الرهيبة من الدنيا و الآخرة. ألم يقل الإمام الحسين (ع)، ابن التربية العلوية، في كربلاء و في ذلك اليوم المصيري و الحاسم «رضىً بقضائك و تسليمًا لأمرك لا معبود سواك يا غياث المستغيثين». (مطهري، ۲۰۲۰: ۱/ ۱۵۷).

النص الحاضر: «كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ۱۰۹)

النص الغائب: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (التغابن/ ٤).

عمليات التناص

تشير هذه الجملة إلى الآيات ٤ من سورة التغابن و ۳۸ من سورة فاطر، وفي التناص من نوع النفى المتوازي يتطرق عليه السلام إلى كمال العلم و المعرفة و إحاطة الله تعالى بجميع الكائنات و الأشياء. بما أن علم الله يحيط بمعلوماته، فلا بد أن يكون علمه بالسر والعلن هو نفسه. كما نلاحظ من كلام الإمام علي (ع) أنه وبالرغم من أن كلمتي "سر" و "غيب" لهما نفس المعنى في بداية الكلام، بالإضافة إلى كلمتي "علانية" و "شهادة"؛ ولكن ليس من المستبعد أن يكون معنى "السر" في كلام الإمام (ع) هو الأسرار التي في داخل العباد التي يعلمها الله، و بعبارة أخرى، كل سر أمامه علانية. لكن "الغيب" يعني الأحداث المستقبلية، أو الماضي المخفي عن حواسنا؛ أو أنواع الكائنات الموجودة في الأرض و السماء الشاسعة في الوقت الحالي، لكن حواسنا لا تستطيع الوصول إليها و إدراكها. (مكارم

شيرازي، ٢٠٠٨: ٤/ ٥٦٤-٥٥٣).

النص الحاضر: «أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَ أَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩).

النص الغائب: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/ ٢٧-٢٦).

عمليات التناص

في شرح هذا الموضوع، لجأ عليه السلام إلى التناص من نوع النفي الكلي مستفيدًا من آيات القرآن الكريم لكي يذكرنا بأن كل شيء على وجه الأرض فانٍ و أن الله سبحانه و تعالى هو الباقي الأبدي، لذلك ينبغي القول أن الأزلية و الأبدية جوهر وجود الباري تعالى، و تعبير «أَنْتَ الأَبَدُ» الذي استخدمه الإمام علي (ع) هو في الحقيقة نوع من التأكيد على أبدية الله. إنه أبدي لدرجة أنه الأبدية نفسها! فهو واجب الوجود و لذلك لا بداية له و لا نهاية، فالبداية والنهاية من صفات المخلوقات الفانية و المحدودة من جهات مختلفة، أي أن مصيرها هو الفناء و خروجها من الوجود إلى العدم. نقل ابن عباس أنه عندما تزلت الآية ٢٦ من سورة الرحمن قالت الملائكة «هلكت أهل الأرض». (حسيني شاه عبد العظيمي، ١٩٣٦ :١٢/ ٤١٣) كما أن تعبيره عليه السلام بـ «مُنْتَهى» يشير إلى الآية ٤٢ من سورة النجم و ذلك من خلال التناص من نوع الاجترار الناقص (استعمال كلمة المُنْتَهى)، عليه فإن استعمال كلمة "المنتهى" من قبل الإمام علي (ع) يعني الغاية و النهاية، وقيل قبل ذلك بأن الله غاية كل شيء و أن مرجوع كل شيء إليه.

النص الحاضر: «وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا [مُنْجِيَ] مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَ إِلَيْكَ مَصِيرُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩).

النص الغائب: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾. (كهف/٤٨) و﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود/ ٥٦).

عمليات التناص

في هذا الجزء من الخطبة يستخدم عليه السلامة كلمة «موعد» مشيرًا إلى الموعد الذي سيقوم الله تعالى فيه بمحاسبة كل إنسان على ما فعل، وأنه لا أحد سيتمكن من الفرار من محكمة العدل. و في هذا الكلام تناص من نوع النفي المتوازي مع الآية ٤٨ من سورة الكهف الكريمة: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾، و لذلك يبين عليه السلام أن الله الذي لا نهاية له هو مصير كل شيء و منتهاه و لا مهرب منه إلا إليه.

أما في الجزء الثاني من هذا الكلام، فنلاحظ تناصًا من نوع الاجترار الناقص (بسبب استخدام كلمات نَاصِيَةُ و دَابَّةٍ) مع الآية ٥٦ من سورة هود، وفي ذلك إشارة إلى إحاطة الله الكاملة بالعالم، و هذا يفيدنا بأنه لا يوجد أي كائن في هذا العالم إلا وناصيته بيد الله و أمره، لأن الله هو المحيط و جميع الكائنات محاطة. و يقول علي (ع) في دعاء كميل "يا من بيده ناصيتي"، و في ذلك كناية عن أنه لا يمكن لأحد أن يستعرض قواه مقابل قوة الله و قدرته، فالجميع مقهور و مغلوب أمام إرادته و كأن ناصية الجميع في يد الله سبحانه و تعالى.

النص الحاضر: «كُلّ نَسَمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ مَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً﴾ (جن/ ٣)؛ يعنى: و اين‌كه او پروردگار والاى ما همسر و فرزندى اختيار نكرده است و ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/ ٦٧).

عمليات التناص

في هذا الجزء من الخطبة، يوجد تناص بين كلام الإمام علي (ع) من نوع النفي الكلي و الآيات ٣ من سورة الجن و ٦٧ من سورة الزمر، فيشير عليه السلام إلى صغر كائنات الكون أمام الله سبحانه و تعالى. إن هذه العظمة مذكورة في الآية ٣ من سورة الجن بكلمة "جد":﴿وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾، و كلمة الجد لغة تعني العظمة والجلالة، و يقول العرب

"جدّ فلان" أي أنه ذو عظمة و شأن كبير، و يشير ذلك إلى قول الجن بأن جلالة و عظمة خالقهم سبحانه و تعالى كبيرة لدرجة أنه غني عن الزوجة و الأولاد، فلم يتخذ زوجة و لا صاحبة و لم ينجب أولاداً لأنه واجب الوجود و منزه عن صفات الممكنات والجسم والجسمانية (أمين، ١٤/ ١٤١). و في الآية ٦٧ من سورة الزمر، نلاحظ وجود تناص من نوع النفي الكلي، مما يشير إلى حقيقة أن الله سبحانه و تعالى و الذي تكون الأرض و السموات بأكملها تحت سيطرته يوم القيامة، منزه عن أن يكون له شريك، و من السفاهة و الحماقة أن نعتبر أن هناك شريكًا لله.

النص الحاضر: «وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩)

النص الغائب: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/ ١٨٥).

عمليات التناص

في هذا القسم، يوجد تناص بين كلام الإمام علي (ع) و الآية ١٨٥ من سورة الأعراف الكريمة وهذا التناص هو من نوع النفي المتوازي، و بالاستناد إلى عبارة (مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و أن الملكوت، (بزيادة الواو والتاء) تدل على المبالغة، مثل جبروت و لاهوت، فإن المقصود هو السيطرة على كل شيء. (طيب، ١٩٩٠: ٤٥٢/٩). لذلك فإن الله حاكم و عالم بالملكوت، و ملكوت كل شيء هو جانبه الباطني و الإلهي المتوجه إلى الله و الملك هو الجانب الظاهري و الخلقي. إذا استعمال الإنسان عينه الملكوتية فسوف يرى الأشياء كما هي على حقيقتها.

النص الحاضر: «وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩).

النص الغائب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (لقمان/ ٢٠).

عمليات التناص

في هذا القسم، يشير الإمام علي (ع) إلى الآية ٢٠ من سورة لقمان بنوع من التناص هو الاجترار الناقص (بسبب استخدام كلمتي أَسْبَغَ و نِعَم) و يؤكد على تسخير كل ما في السموات مثل الشمس والقمر و النجوم و السحب والرياح والأمطار و ما إلى ذلك و كل ما على الأرض مثل الجبال و البحار و الجمادات و النباتات و الحيوانات. يقول الملا صدرا في الجزء الثالث من أسفاره: إن البشر غير قادرين على فهم الأمور السماوية و الأرضية كما هي، و هم عاجزون أيضًا عن إدراك حكمتهم و هدفهم، بل أكثرهم يجهل حقيقة النفس التي هي ذات الإنسان و تفاصيل حالاته. و ما يجهله العلماء أكبر بكثير مما يعرفونه. إذا كان الإنسان غير قادر على معرفة ذاته و جسده، فكيف يمكنه معرفة العالم الجسماني و الروحي. بهذا العجز، ليس لدينا خيار سوى التفكير في عجائب الخلق و جمال الفطرة. (مغنية، ١٩٩٩ :٦/ ٢٧٥).

النتيجة

بدراسة علاقات التناص بين خطب نهج البلاغة و القرآن الكريم تبين لنا مايلي:

١. بيانات المعصومين في كثير من الأحاديث تشير إلى أنهم طلبوا عرض كلامهم على القرآن و تقييمه على أساسه، و قبوله إذا كان لا يخالف تعاليم القرآن الكريم. بناءً على هذا البحث، تم تحليل مستندات كلام الإمام علي (ع) و مقارنته بكلام الوحي، و استنتجنا أن القرآن يتداخل بعمق مع الوجود المبارك لأمير المؤمنين علي (ع)، لذلك فإنه يتكلم بلسانه الكريم ولكن من مصدر القرآن و تعاليم الوحي. بعبارة أخرى، فإن كل وجود الآيات القرآنية في كلام الإمام علي (ع) لا يقتصر على الآيات والكلمات التي ينقلها مباشرة من القرآن، ولكن يمتد إلى كل ما يفكر فيه و يقوله، لذلك فإنه عليه السلام استخدم التناص من نوع النفي المتوازي.

٢. عند دراسة هذا العمل الخالد من أي وجهة نظر، سواء من حيث القدرة اللفظية أو من حيث الثراء المعنوي، فسوف ندرك أنه من الأعمال التي ليس لها مثيل بين الأعمال الأدبية و الثقافية البشرية على ما تمتد عليه من نطاق واسع. ولكن الأجمل أن نقول إن نهج البلاغة هو "أخ القرآن" و هو في مرتبة "دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق".

٣. تعتقد كريستوفا بأن كل نص هو بمثابة فسيفساء من الاقتباسات و جذب وتحويل لنصوص أخرى، و لا يوجد نص فريد منفصل عن النصوص الأخرى، و بالتالي فإن علاقة التناص العميقة و غير القابلة للتجزئة بين كلام الإمام علي (ع) و القرآن الكريم تفيد في الاستدلال على الكلام الإلهي لغرض تفسير و تبيين المفاهيم القرآنية و بلاغتها.

٤. استطاع الإمام علي (ع) بكلماته أن يخلق نوعًا من التوافق بين النص الغائب و النص الحاضر و أن يخلق تفاعلًا واعيًا معه.

٥. تناص القرآن والخطبة ١٠٩ من نهج البلاغة حسب نظرية جوليا كريستوفا، يتضمن الفئات الرئيسية الثلاثة للنفي الكلي و النفي الجزئي و النفي المتوازي، و هذا ما يمثل نوعًا من التفاعل ثنائي الاتجاه بين كلام الوحي و كلام الإمام علي (ع)، و تشير إحصائيات الدراسة إلى أن نسبة أنواع التناص الموجودة في كلامه عليه السلام من الأدنى إلى الأعلى على التوالي هي النفي الكلي بنسبة ٢٣٪، و النفي الجزئي بنسبة ٢٤% و النفي المتوازي بنسبة ٥٣٪.

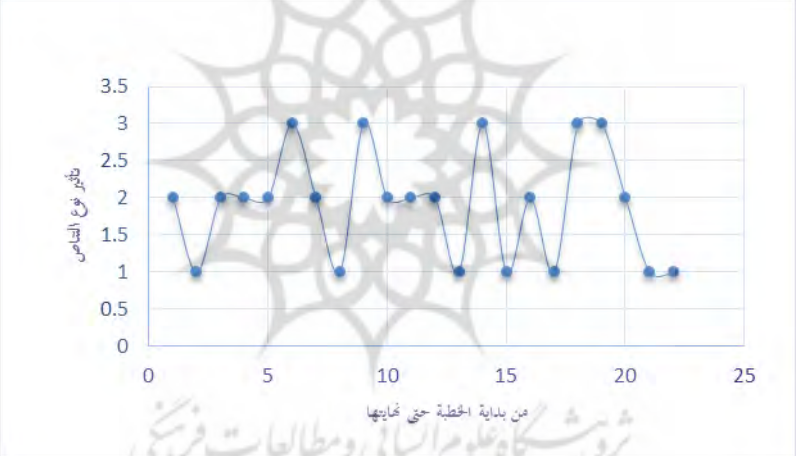

الرسم ١. أثير أنواع التناص طوال الخطبة

الرسم ٢. الرسم البياني لاستخدام أنواع التناص في الخطبة

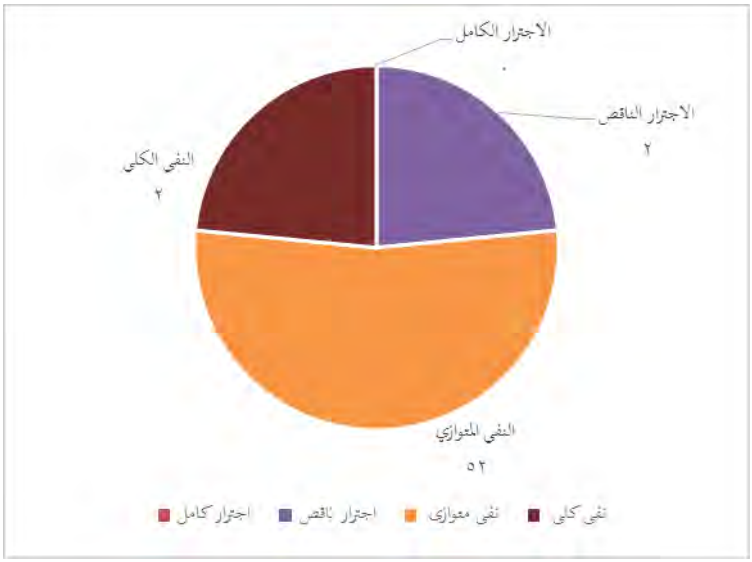

الرسم ۳

٦. أخيراً ولأول مرة تم الكشف عن مسار استخدام أنواع التناص في الخطبة ۱۰۹ من البداية إلى النهاية في مجال الأسماء والصفات الإلهية بمساعدة مؤشر كل نوع من أنواع التناص. في هذا الرسم البياني، نلاحظ تناص النفي الكلي (الحوار) . و هو أكثر أنواع التناص استخداماً في الخطبة – برقم المؤشر ۳، و تناص النفي المتوازي برقم المؤشر ۲، و التناص من نوع الاجترار الناقص برقم المؤشر ۱، والتناص من نوع الاجترار الكامل برقم المؤشر. من خلال فحص الرسم البياني بعناية في هذه الخطبة، نرى أن الإمام علي (ع)، كمعلم فريد من نوعه، يستخدم جميع أنواع التناص في الخطبة، يظهر بلاغته و بلاغته، و من أجل تقليل إجهاد المستمع و القارئ، يلجأ إلى التنوع في استخدام أنواع التناص في أي موقف مناسب. و يمكن ملاحظة هذا الأمر بشكل جميل في الرسم البياني. تساعد هذه الطريقة على إنشاء موجة شبه سينوسية في استخدام التناص من نوع النفي الكلي، حيث تصعد هذه الموجة بالإنسان إلى قمة التفكير بالذات و الصفات الإلهية تارة، ويلجأ عليه السلام تارة أخرى إلى أنواع التناص الأخرى بدرجات أقل ليساعد في إدراك الحجم الثقيل للمحتوى و تحويله إلى كلام ممتع.

المصادر

ابن منظور، أبو الفضل و جمال الدين، محمد بن مكرم (۱۹۹۳م). لسان العرب. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر.

الاصفهاني، السيد أبوالحسن (۲۰۰۱م). وسائل النجاة (مع حواشي الإمام الخميني). قم: معهد تنظيم ونشر أعمال الإمام الخميني.

باغستاني ميبدي، مسعود وآخرون (۲۰۱۵م). «الحاجة إلى التدخل الحكومي في تنظيم الأسواق المالية والإشراف عليها». مجلة الاقتصاد، رقم ۷ و۸، ص ٤۳-٥۸.

بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (۱۹۸۳م). شرح نهج البلاغة. غير معروف. طهران: دار نشر الكتب.

پاكتشي، احمد (۲۰۰۹م). البحث عن مكونات العدالة السياسية في النصوص الإسلامية، في مقدمة للنظرية السياسية للعدالة في الإسلام (المجلد ۲). بقلم علي أكبر عليخاني. طهران: معهد أبحاث الدراسات الثقافية والاجتماعية.

پجويان، جمشيد (۲۰۱۰م). الاقتصاد الجزئي. طهران: مطبعة جامعة پيام نور.

جوهري، إسماعيل بن حماد (۱۹۸۹م). الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية. سوريه: دار العلم للملايين.

حر عاملي، محمد بن حسن (۱۹۸۸م). وسائل الشيعة. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

حلّي، ابن ادريس، محمد بن منصور بن احمد (١٩٨٩م). السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى. قم: مكتب المطبوعات الإسلامية التابع لجمعية معلمي حوزة قم.

حلّي، علامه، حسن بن يوسف بن مطهر اسدى (١٩٩٢م). مختلف الشيعة في أحكام الشريعة. قم: مكتب المطبوعات الإسلامية التابع لجمعية معلمي حوزة ايران.

_____ (١٩٩٩م). تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية (ط - الحديثة). قم: معهد الإمام الصادق (ع).

حلّي، محقق و نجم الدين، جعفر بن حسن (١٩٨٧م). شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. قم: معهد اسماعيليان.

حلّي، مقداد بن عبد الله سيورى (٢٠٠٤م). كنز العرفان في فقه القرآن. قم: منشورات مرتضوي.

حميري، نشوان بن سعيد (١٩٩٩م). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (الطبعة الأولى). بيروت: دار الفكر المعاصر.

خميني، سيد روح‌الله الموسوي (٢٠١١م). تحرير الوسيلة. النجف: المكتبة الإسلامية.

خويي، سيد ابوالقاسم موسوي (د. ت). مصباح الفقاهة (المكاسب).

ديلمى، سلاّر، حمزة بن عبدالعزيز (١٩٨٣م). المراسم العلوية و الأحكام النبوية. قم: منشورات الحرمين.

الزمخشري، أبوالقاسم، محمود بن عمر (١٩٩٦م). الفائق في غريب الحديث. سوريه: دار الكتب العلمية.

جورج جوروفيتش (١٩٤٠م). أساسيات علم اجتماع القانون (ترجمة حسن حبيبي). طهران: شركة انتشار.

صاحب بن عباد، كافى الكفاة و اسماعيل بن عباد (١٩٩٣م). البيئة في اللغة. بيروت: عالم الكتب.

الطوسي، أبوجعفر، محمد بن حسن (٢٠٠٨م). المبسوط في فقه الإمامية (الطبعة الثالثة). طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

_____ (١٩٨٠م). النهاية في مجرد الفقه والفتاوى. بيروت: دار الكتاب العربي.

_____ (٢٠١١م). الإستبصار فيما اختلف من الأخبار. طهران.

عاملي، الشهيد الأول، محمد بن مكي (١٩٩٦م). الدروس الشرعية في فقه الإمامية. قم: مكتب المطبوعات الإسلامية التابع لجمعية معلمي حوزة قم.

عاملى، شهيد ثانى، زين‌الدين بن على (١٩٨٩م). الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية (المحشّى - كلانتر). قم: مكتبة داورى.

عباسى، بيژن (٢٠١٤م). أساسيات القانون العام. طهران: منشورات دادگستر.

غرجي ازندريانى، على‌اكبر (٢٠١٠م). مبادئ القانون العام. ايران، طهران: منشورات جنگل.

غرجي ازندرياني، علي‌اكبر (٢٠١١م). «الوصايا العشر للقانون العام» انعكاس في المبادئ والمفاهيم الأساسية للقانون العام، المجلد ٤١، العدد ٢، ايران، طهران، المجلة الفصلية للقانون.

غيلاني، فومني، محمدتقي بهجت (٢٠٠٢م). وسيله النجاه (للبهجه). قم: منشورات شفق.

فيومى، احمد بن محمد مقرى (د. ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. قم: دار الرضي للنشر.

قرشى، سيد على اكبر (١٩٩١م). قاموس القرآن. طهران: دار الكتب الإسلامية.

قمي، محمد بن على (١٩٨٨م). من لا يحضره الفقيه (ترجمة علي أكبر غفاري). ايران، طهران: دار صدوق.

كاتوزيان، ناصر (٢٠٠٤م). مبادئ القانون العام. طهران: دار ميزان.

مفيد، محمّد بن محمد بن نعمان عكبري (١٩٩٢م). المقنع. قم: مؤتمر الألفية العالمي للشيخ مفيد.

نجفي، كاشف الغطاء، احمدبن علي بن محمدرضا (٢٠٠٢م). النور التاسع في الفقه النافع. النجف: مطبعة آداب.

نجفي، كاشف الغطاء، احمد بن علي بن محمدرضا (٢٠٠٢م). سفينة النجاة ومشكاة الهدي ومصباح السعادات. النجف أشرف: مؤسسة كاشف الغطا.

واسطي (١٩٩٣م). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

هاشمي خويي، ميرزا حبيب‌الله (١٩٨٠م). منهاج البراعة في شرح نهج‌البلاغة (خوئي). طهران: المكتبة الإسلامية.

بررسی روابط بینامتنی قرآن و خطبه ۱۰۹ نهج البلاغه در حوزه اسماء و صفات الهی

مرضیه فیاض[۱]، مهدی مطیع[۲]، محمد رضا حاجی اسماعیلی[۳]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۷/۱۸ **تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۴/۰۳**

۱. دانشجوی دکترای علوم قرآن و حدیث دانشگاه آزاد اسلامی، واحد اصفهان (خوراسگان)، اصفهان، ایران؛ Amir4818@gmail.com
۲. دانشیار دانشکده ادبیات دانشگاه اصفهان، اصفهان، ایران (نویسنده مسئول)؛ mahdimotia@gmail.com
۳. استاد دانشکده ادبیات دانشگاه اصفهان، اصفهان، ایران؛ m.hajis1@yahoo.com

چکیده

یکی از رویکردهای مهم در پژوهش‌های ادبی الگوپذیری یک متن از متن دیگر است. امروزه به این نوع پژوهش رابطه بینامتنیت و یا تناص گفته می‌شود. این رابطه نشان می‌دهد که بعضی از متون خود آگاه یا نا خودآگاه از دیگر متون بهره جسته‌اند و بر آن است که بیان کند هر متن و گوینده‌ای متأثر از دیگر متون و گویندگان سابق یا همزمان، بوده و آگاهانه و یا نا خودآگاه از کلام و اندیشه آنها بهره‌مند گردیده است. نوشته حاضر به ارتباط بینامتنیتی دو متن قرآن و نهج البلاغه می‌پردازد. قرآن متن پنهان یا غایب بوده و نهج‌البلاغه، متن حاضر است. نگارنده بر آن است که ژرفا و عمق پیوند و ارتباط این دو متن را روشن سازد و تجلی نورانیت کلام وحی در سخنان امام علی(ع) را آشکار نماید. این پژوهش به شیوه توصیفی، تحلیلی، تطبیقی رابطه بینامتنیت قرآن با خطبه ۱۰۹ نهج‌البلاغه را در حوزه اسماء و صفات الهی بررسی خواهد نمود و سپس انواع مختلف بینامتنیت اعم از نفی جزئی (اجترار ناقص و کامل)، نفی متوازی (امتصاص) و نفی کلی (حوار) را تعیین می‌کند. نتایج این تحقیق نشان می‌دهد بیشترین تأثیرپذیری کلام آن حضرت از قرآن متعلق به رابطه بینامتنیت از نوع نفی متوازی با حدود ۵۳ درصد و استفاده از نفی کلی و اجترار ناقص تقریباً مساوی با یکدیگر حدود ٢٤ درصد از مجموع درصدهای بینامتنی را به خود اختصاص داده و از احترار کامل بهره گرفته نشده است.

کلیدواژه‌ها: قرآن، نهج البلاغه، خطبه ۱۰۹، اسماء و صفات الهی، بینامتنیت.